المواجهة بين الصليبيين(البرتغاليين) والمرابطين في الأندلس و سواحل المغرب .

أ.د.بوكنة عبد العزيز
أستاذ بقسم العلوم الإنسانية
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية
جامعة الجزائر –2–

Abstract

Sets the Church history,well aware of what is the extent of the moral support and spiritual which singled out by the Apostolic Nunciature wars "restitution" of Andalusia. Did Not Exclude never Spain of papal schemes, or to say Mayer:),In Spain also that "the enemy" is one (Islam));1).The policy followed by the popes in Rome with stationed continued in the era of the pope Eugeniusz III (Eugenius III, 1145-1153), who has spared no effort is the other, to push forward the Spanish Christians especially Alfonso VII, who sent him a message, urging for a military campaign against Muslims (2). That coincided with the fall of the Principality of roha crusade by Emad Addin zenki year 539E/1144m.

إن المتتبع للتاريخ الكنسي،يدرك جيداً ما مدى الدعم المعنوي والروحي الذي خصت به البابوية حروب "الإسترداد" بالأندلس. ولم تُستثن أبداً إسبانيا من مُخططات البابوية،أو على قول ماير:((في إسبانيا أيضاً أن "العدو" هو واحدٌ 'الإسلام'))[1].إن السياسة التي أتبعها الباباوات في روما مع المرابطين تواصلت في عهد البابا أوجينيوس الثالث (Eugenius III ,1145–1153)،الذي لم يُدخر جهداً هو الآخر،لدفع المسيحيين الإسبان وخاصة الفونسو السابع،الذي بعث له برسالة،يحثه فيها للقيام بحملة عسكرية ضد المسلمين [2] . تزامن ذلك مع سقوط إمارة الرها الصليبية على يد عماد الدين زنكي سنة 539هـ/1144م،ولذلك قامت البابوية بتوجيه حملة صليبية جديدة ضد المسلمين في المشرق والمغرب.ومما لا شك فيه،أن البابوية لم تكن تخف تحرشاتها ضد المسلمين في الجزء الغربي للبحر المتوسط،سواء في الأندلس،أو بلاد المغرب وصقلية.قام البابا أوجينيوس الثالث،سنة 1145م بحث المسيحيين الإسبان بمهاجمة تراقونا (Tarragona)، وبتحريرالمسحيين،من مضايقة المسلمين لهم بالمدينة وبدعم فرقة الداوية قي حروبهم بإسبانيا.كما وجد البابا في شخص الملك البرتغالي الفونسو هنريكيز[3] Alfonso (Henriques/ت.سنة 581هـ/1185م)،يداً طيعّة في تحقيق مشروعه الصليبي.فقد أعترف الفونسو هنريكيز بسلطان البابوية على مملكته في سنة 539هـ/1144م،كما أستدعى فرقتي الداوية والإسبتارية إلى مملكته وبمساعدتهما تمكن من إنتزاع مدينة شنترين (Santaren) من الموحدين [4] ثم واصل السير صوب لشبونة التي وصلها قي سنة 541هـ1147م،حيث تزامن وصوله إليها،بوصول حملة صليبية من الشمال في طريقها إلى الشرق[5].كانت هذه الحملة متكونة من عدة عناصر صليبية:الإنجليزيين ،والهولنديين(الفلمنك)،والفريزيين(الألمان) والنورمانديين الذين أبحروا في 16 جوان سنة 1147م،عبر سواحل المحيط الأطلسي إلى أن بلغوا مدينة لشبونة،حيث قاموا جميعهم بمساعدة كونت البرتغال ألفونسو هنريكيز على غزو المدينة وإفتكاكها من المسلميين،وكان ذلك في 24 أكتوبر سنة 1147م[6].وعلى قول أوتو دى فريسينك،((لقد أفتكها رجالنا مُؤخراً من

السراسنة))[7].كما عين ألفونسو أحد الصليبيين الإنجليز(جليبرت هاستينجر) أسقفاً على كنيسة لشوبنة والإشراف أيضاً على الكنائس المجاورة للمدينة،كمكافأة لدور الأنجليز في إسقاط المدينة [8] . لكن سكان ومسلمو لشبونة دافعوا على مدينتهم بكل بسالة وإستماتة ولم يدخل الصليبيون مدينتهم، إلاّ بعد محاصرتها أربعة أشهرٍ كاملة [9] لكن قام الصليبيين بنقض العهد الذي جمعهم بالمسلميين وقاموا بمهاجمتهم وأعملوا فيهم أبشع القتل،حتى الأقاليم الداخلية للشبونة لم تسلم من همجيتهم وسرقتهم لخيراتها؛كمناطق:سنترا(**Centra**) المعدن(**Almada**)وبلميرا (**Palmera**) [10] وعند سقوط لشبونة رحل بعض الصليبين إلى المشرق،لكن العدد الكبير منهم إستقر في البرتغال بتشجيع من الفونسو هنريكيز[11].

إن الحملات الصليبية الشمالية التي تزعمها الهولنديون والأنجليزيون والفريزيون،بالجزء الغربي للبحر المتوسط،قد كتب عنها بعض المعاصرين [12] وبعض المحدثين [13] ولم يختلفوا على إعتبارها بأنها كانت حملة صليبية خالصة،((شارك فيها أشخاص بمختلف ألسنتهم،لكن كانت بينهم صداقة وحميمية خاصة))،كما عبر عنها أحد مُعاصريها[14] وعليه،يمكن لنا إستبعاد مُشاركة الفرقة الأنجليزية الهولندية الصليبية في الحصار الذي ضربه الصلبيين في بلاد الشام على دمشق،في صائفة (جويلية)،سنة **1147م**[15] ربما أبحر بعض الصلبيين صوب الشرق،أما من أختارالبقاء في إسبانيا إما مُرغماً،أومُختصراً للمتاعب ومشقة الطريق،فقام بمحاربة المسلمين في لأندلس.

ومهما يكن من أمر،فقد تبين لنا،بعد البحث والتحري،أن الحملة الصليبية الشمالية التي سلكت الجزء الغربي للبحر المتوسط،قد قامت بمساعدة البرتغاليين في حروبهم ضد المسلميين بالأندلس والمغرب الإسلامي وخاصة في المدن الساحلية[16].حيث ذكرت حوليات ألمارونساس (**Annales Elmarenses**) بعض الأحداث التي واجهت الصليبيين بعد مغادرتهم للشبونة وإجتيازهم لمضيق جبل طارق،أن الصلبيين هاجموا مدينة هايرون (**Hairon**) وعندما عجزوا على مواصلة الحصار،نظراً لطول المدة ونقص المؤُونة،حاولوا رفع الحصار،لكن بعدما أن تعهدوا مع سكان المدينة على أن يسلموا لهم بعض أسراهم داخل مدينتهم مقابل مبالغ من المال.وعندها عزم سكان المدينة المُحاصرة (هايرون **Hairon**) بتسليمهم حوالي أربعون أسيراً من أسراهم ومن خيرة رجالهم،لكن لم يفلح المعتدون ولم يسلموا المبلغ المتفق عليه لأفداء أسراهم وبالتالي قام سكان المدينة بقتلهم وتعليقهم على جدران مدينتهم وانصرف الصليبيون بعد ذلك عن سواحلها،يجرون ذيول الهزيمة.كما أن الكاردينال البابوي،بوسو (**Cardinal Boso**) لم يُساوره أدنى شك في إعتبار أن الحملة الصليبية الثانية كانت ((حملة عسكرية كبيرة أنطلقت من المناطق الغربية))[17] .

لقد واصل ألفونسو هنريكيز سياسته الصليبية ضد المسلمين بغرب الأندلس،وربط علاقات ودية مع البابا إسكندر الثالث(**1159–1181**م)،حتى ينال رضاه عن خدماته الجليلة ويعترف به ملكاً على البرتغال.ونلمس هذا التقارب الحميمي بين الشخصين في خطاب وجهه البابا إلى ألفونسو هنريكيز والذي أستهله بقوله:((من الأسقف إسكندر خادم خدام الله إلى حبيبه المسيح الأبن ألفونسو الملك السامي للبرتغاليين وخلفئه إلى الأبد...)) [18] . يوضح هذا الخطاب خصوصية العلاقات التي ربطت البابوية بالممالك الإسبانية وخاصة بمملكة البرتغال،وهو " ابنه المُدلل"المُطيع " الملك السامي" للبرتغاليين،هي عبارات كافية ذات مدلول واضح على اتجاهات ألفونسو الصليبية اتجاه المسلمين.فالبابا لم يخف هذه الصداقة المتميزة التي جمعته بـ'ملك' البرتغال لأن أخبار نكسات المسيحيين

التي كانت تصله إتباعاً من المشرق والمغرب حركت كنيسته أن تدق ناقوس الخطر وأن مستقبل 'المسيحيين' في الأندلس لا يُبشر بالخير [19] إن جلوس الفونسو هنريكيز على عرش البرتغال،وفي هذا الوقت بالذات،أعطى لمنطقته طابعاً خاصاً،حيث تحولت سواحل البرتغال إلى محطة رئيسية لعبور السفن الصليبية نحو المشرق الإسلامي.كما أصبحت لشبونة قاعدة للأساطيل الصليبية القادمة من الشمال.كانت الفرق الصليبية تخلد لقليل من الراحة بها،قبل إستأناف الإبحار نحور الشرق عبر الجزء الغربي للبحر المتوسط.كما كانت سفنها تُزود بالمؤن وتُشحن بفرق صليبية 'جديدة' قبل مغادرتها المدينة.حدث مثلاً سنة 552هـ1157م،أن حل بالبرتغال سفن صليبية:فرنسية وإنجليزية ربما كانت في طريقها إلى الشرق . أو جاءت للكسب والإرتزاق على حساب المسلمين . أن استعان بها ألفونسو هنريكيز لإسقاط قصر أبي دانس، لكن فشل الطرفان في دخول المدينة.أعاد ألفونسو الكرة من جديد على قصر أبي دانس،ربما مُدعماً هذه المرة،بفرقة صليبية فرنسية وسقطت المدينة في السنة الموالية، 553هـ/1158م،في ذكرى عيد القديس خوان بابتيستا(Joan Baptista) [20].

وقبل وفاته سنة 581هـ/1185م،أولى إهتمال خاص بإنشاء الجماعة الدينية " للقديس ميخائيل المجنح " San) (Michael Delala،وبذلك لم يحد عن الصف الذي سار فيه أسلافه من قبله [21] . واصل إبنه سانشو الأول(Sancho I –581–608هـ/1158–1211م)،الذي عُرف 'بفاتح اليميتيخو'سنة 586هـ/1189م،سياسة والده الصليبية ضد المسلمين،ووضع أُسس " استقلال "مملكة البرتغال عن الممالك الإسبانية الأخرى(قشتالة) ،قام بالإستيلاء على شلب (Silves) وباجة ويابرة، بمساعدة فرق صليبية من الدانيين والفريزيين وهي في طريقها إلى المشرق بعد سقوط بيت المقدس في أيدي المسلمين،وقيام الحملة الصليبية الثالثة[22] . كما ظلت شلب تحت سيطرة سانشو الأول زهاء عامين،إلى أن أستردها الخليفة يعقوب المنصور الموحدي سنة587هـ/1191م،مع باجة وقصر أبي دانس ويابرة[23] . تجددت الحروب بين المسلمين والبرتغاليين،في عهد إبنه ألفونسو الثاني،المُلقب (بالبدين) الذي حكم ما بين سنة:(608–620هـ/1211–1223م)،خاصة على بعض الثغور الإسلامية على الساحل الجنوبي للبرتغال،كثغر قصر أبي دانس.تمكن ألفونسو الثاني،وبمساعدة الصلبيين [24] من الإستلاء على هذا الثغر حيث يسقط سنة 614هـ/1218م،وإلى الأبد في أيدي البرتغاليين[25] .

لم يكتف إختراق الصليبيين لمياه الجزء الغربي للبحر المتوسط من أقصى الغرب،بل تعدى ذلك إلى قيام البيزيين وربما مع الجنويين،سنة 541/1146هـ بغزو أرخابيل جزر مايورقة وتخريبها،قبل عبورهم إلى الساحل الشرقي للأندلس،إلى مدينة المرية(Almeria) ومحصارها.لكن محاولة البيزيين،فشلت،بسبب الرد الفعل القوي من قبل المسلمين،الذين أستعادوا سيادتهم،على جزيرة ميورقة[26] . يذكر لنا المؤرخ الجنوي كفاروا دي كشيفوليني،توفي سنة 1166م(Caffaro di Caschifellone) في حولياته:تاريخ إحتلال المرية وطرطوشة (*Ystoria captionis Almarie et Tutuose*) ،أن الأسطول الجنوي غادر جنوة سنة 1147م وشارك مع ملك قشتالة الفونسو السابع في حصار مدينة المرية وذلك بموجب الأتفاق بين الطرفين سنة 1146م.وبعد رفع الحصار عن المدينة،أبحر الأسطول الجنوى إلى برشلونة،أي قضى فصل الشتاء بها،قبل هجومه على مدينة طرطوشة (Tortosa) ودعم الكونت:رايمود بيرونجر الرابع (Count Raymond– Berenger IV) [26] في نفس السنة(1147م)[27].

ومما لاشك فيه أن المصالح السياسية والإقتصادية والطابع (الدولي) التضامني لعب دوراً كبيراً في هذه الحملة الصليبية؛لأن مشاركة جمهوريتي[28]:جنوة وبيزا،بجانب تلك الحملات الصليبية،لدليل قاطع على المصلحة التجارية التي دفعتهما إلى غزو الموانئ الإسلامية،خاصة مينائي: طرطوشة والمرية الغنيتين[28] . بجانب مشاركة الإيطاليين فيها،شاركت فيها أيضاً فرقة الداوية والكونت وليام السادس دى مونبيلى (Count William VI of Montpellier)[29] .ويظهر أن تلك الحملة الصليبية ضد مدينة المرية،لم يشارك فيها الأسبان فقط،بل شارك فيها الفرنسيين البروفانسيين[30]: (الناربونيون والبورجنديون) وكونت برشلونة وربما الفرقة الأنجليزية الهولندية وهي في طريقها نحو بلاد الشام،إلى جانب بعض الأجانب [31] . وأحتلت المرية (Almaria)في 17 أكتوبر من نفس السنة،وأُلحقت بها مدينتي،فراقا وليريدا (Fraga– Lerida).وعلى أية حال،هل كانت تلك الفرق تُحارب مُجتمعة،أم أن كل فرقةٍ توزعت في جهة معينة،واحدة بالجزء الغربي عبر المحيط الأطلسي،أي الفرقة التي هاجمت لشبونة.أما الفرقة الثانية في البحر المتوسط،في جزئه الشمالي الغربي،والتي هاجمت المرية.وبحكم التواريخ (17–و 24 من أكتوبر 1147م)،نرى أن تلك الفرق لم تكن مُجتمعة،وإنما كل واحدة كانت تهاجم في منطقة معينة.حيث ثبت أن جمهورية جنوة،هي التى قامت سنة 1146م بمهاجمة جزيرة مينورقة (Minorca/Majorque)،ثم حاصرت ميناء المرية على الضفة الشرقية للأندلس [32]. وفي سنة 541هـ/ 1147م قام الفونسو السابع،صاحب قشتالة،بالإبحار جنوباً صوب المرية وبمساعدة الأساطيل الجنوية المتواجدة في المنطقة،أحتل المدينة.كما قام ألفونسو السابع في عام 1148م،وربما مع الجنويين بالإبحار مرة أخرى صوب الشمال وضم جيوشه لجيوش كونت برشلونة،رامون برنجير الرابع (Ramon Berenguer IV)الذي كان يُحاصر ميناء طرطوشة في الشمال [33] ،بمساعدة فرسان الداوية الصليبيين وأساطيل جنوة وبيزة.ودام هذا الحصار من شهر جويلة سنة 1148 إلى غاية شهر ديسمبر،من نفس السنة.أما في سنة 1152م،فقد أصدرالبابا،قراراً كنسياً(bull)،طلب فيه جميع المسيحيين بالسير مع الكونت راومون صاحب برشلونة (Ramon of Barcelona) والدفاع على المسيحيين وعلى جميع الكنائس في مقاطعات الكونت الإسبانية،كما وعدهم بالحصول على بعض الإمتيازات، مقابل مشاركتهم في الحرب[34] .

إن المُتتبع لحروب الصليبيين في الجزء الغربي لشبه جزيرة إيبريا، يدرك جيداً أن الفترة التي مكنت للبرتغاليين من السيطرة (take over) على هذه الجهة من شبه الجزيرة [35] ،جاء نتيجة انصراف الموحدين في حروبهم في المغرب،خاصة ضد بني غانية الذي أستفحل أمرهم وأشتد عودهم إلى أن هددوا كل إفريقية.وهناك عامل آخر،هو توزيع أسطول الموحدين على عدة جبهات،من تونس إلى صقلية إلى جزائر البليار ومضيق جبل طارق [36].فالتعبئة "البحرية" ربما كانت من وراء انهزام الموحدين في البرتغال،وبالتالي ظهر عجز الأسطول في رد أو حتى وقف الهجمات الصليبية البحرية من الشمال.فالطريق البحري عبر"جبل طارق" أصبح شبه 'مفتوح' أمام الأساطيل المسيحية،سواء العسكرية منها أو التجارية. ولنا في رحلة ابن جبير لأحسن دليل على ذلك، فهو شخصياً سافر مع الجنويين نحو الشرق،كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.هذا ما جرى،على الجبهة الشرقية للأندلس وفي نفس الفترة بالذات،لكن هذه المرة من الإيطاليين(الجنويين) الإيطاليين والفرنسيين وغيرهم.

وعلى أية حال،فأن تلك النجاحات التي حققها الصليبيين سنة 1147م،خاصة في البرتغال والساحل الشرقي للأندلس،لم يتذوق الصليبيين 'حلاوة طعمها' إلاّ بعد مرور عِقدٍ من الزمن،حيث ذاقوا علقمّها على يد المسلمين،وضاعت منهم كل المناطق التي أحتلوها ولم يبق معهم الاّ لشبونة وطرطوشة.لقد لقي الصليبيين إنكسارات عديدة وهزائم خاصة في البحر على يد الموحدين، الذين حولوا الكفّة لصالحهم خاصة في الجزء الغربي للبحر المتوسط،كما ظلت جزر البليار وإفريقية في عهد الموحدين من أهم القلاع الإسلامية التي تحطمت عليها أماني الصليبيين.لكن يبقى السؤال في اعتقادنا جوهري،كيف يمكن لنا تفسير تلك الإنكسارات الصليبية ؟ بمعنى آخر،على أي أساس وعلى أية دوافع قامت تلك الحملات الصليبية ضد المسلمين على السواحل الغربية والشرقية للأندلس ؟ وكيف تم تنظيما ؟ هذه الأسئلة وغيرها يمكن لنا استخلاصها من الكُتاب الأوروبيين المعاصرين أنفسهم،كيف كان موقفهم منها،وردود أفعالهم على تلك الهزائم البحرية [37].تلك الهزائم التي صاحبت الحملة الصليبية الثانية،علق عليها المؤرخ ماير بقوله:((أن النجاح الوحيد للصليبيين كان في الأجنحة[القصد إسبانيا الشرقية والغربية]،وأن خيبة الأمل كانت بدون شك عميقة)) [38] . ولعل هذا الإخفاق الصليبي، كان أيضاً في إفريقية، حيث نجح الموحدين في صد خطر الصليبيين على سواحل بلاد المغرب.

الهوامش :

[1]– H.E.Mayer,ibid.,p.102,((In Spain moreover the enemy was also Islam)).

[2]–Malcolm Cameron Lyons & D.E.P.Jackson –op.cit.,p.258;
H.E.Mayer,ibid.,p.102.

[3]– الفونسو هنريكيزولد حوالي 503 أو 504هـ/1109–1110م،أو كما تسميه المصادر العربية((بان الرنك أو الريف))،هو إبن الكونت البورجوندي صهر الفونسو السادس ملك قشتالة وليون،أي أنه ينحدر من أسرة فرنسية صليبية،كانت قد جاءت إلى إسبانيا للبحث على الثروة والمجد،ودخلت في خدمة ملوك إسبانيا في حروبهم ضد المسلمين.وهنري البورجندي هو حفيد روبرت الثاني ملك فرنسا(996–1034م) وجده المباشر هو روبرت دوق بورجونديا(1032–1037)وحسب بعض الروايات،أن والدته،دونيا تيريزا كانت إبنة غير شرعية للملك الفونسو السادس،والذي زوجها للكونت هنري البورجوندي.وبعد هذه المصاهرة،ولاه الفونسو حكم كونتية البرتغال،بعدما أن قام الملك بفصل كونتية البرتغال على جليقية.وتوفي في سنة 581هـ/1180م،عن عمر يناهز ست وسبعين عاماً،قضاها في حروب دينية ضد المسلمين.

أنظر:

[3]– سحر عبدالعزيز سالم،"حركة الإسترداد المسيحي في الأندلس وعلاقتها بالحروب الصليبية"،ص 34؛راجع الهامش رقم(56)،ص48.

[4] – يقول إبن العذاري المركشي أن البرتغاليين استولوا على تسع قطع من مراكب المسلمين وأخذوها معهم إل لشبونة؛
أنظر ابن العذاري المراكشي،البيان المغرب،ج4،ط،بيروت 1967،ص146.
سحر عبدالعزيز سالم،"حركة الإسترداد المسيحي في الأندلس وعلاقتها بالحروب الصليبية"،ص،35.

[5]– يرى محمدعبدالله عنان،أن الأسطول الصليبي كان ((ضخماً [ويتكون] من خمسين سفينة،يحمل عدداً من الجند الألمان والفلمنك إلى مياه إسبانيا الغربية في طريقه إلى البحر المتوسط...وتقدم في نفس الوقت إلى هذه المياه اسطول صليبي آخر من أنجليترا وبلاد الفلاندر،[الأراضي المنخفضة]ودفعته الأنوار والعواصف الجامحة نحو مياه أشبونة))،أما سنة قودمه إلى البرتغال يرجعه إلى أوائل سنة 585هـ/1189م،وفي إعتقادنا أن هذا التاريخ غير مناسب إذا أخذنا في الحُسبان الأعمال الحربية ألتي شارك فيها قبل هذا التاريخ.
أنظر:

محمد عبدالله عنان،المرجع السابق،170–171.

(6) – كان الكونت ألفونسو مرفوقاً في تلك الحملة الصليبية ضد لشبونة بفرقة الداوية أو فرسان المعبد (The Knights of the Temple) والذى منح لهم كل الممتلكات الكنسية بالمدينة بعد سقوطها.

« On this expedition Alfonso was accompanied by the Knights of the Temple,to whome all the ecclesiastical proprety in the city was granted after its capture ."

نقـلاً عن:

Grant of April,1147 :*Documentos da Chancelaria de Afonso Henriques*,ed.Abiah E.Reuter (*Chancelarias Medievais Portguesas 1* ;Coimbra 1938),n°.145,pp.209–210.

أنظرأيضاً:العبادي،المرجع السابق،ص271؛

يؤكد لنا مؤلف مجهول،صاحب حولية سقوط لشبونة،أن هذه الحملة الصليبية كانت مُشكلة فعلاً من هذه العناصر التي أشرنا إليها في المتن.ولقد قام د.محمود سعيد عمران،بترجمتها إلى العربية.

(7) – C.Gilles,op.cit.,p.220 ; نقلاً عن: *Chronica* 1.26,P.59.

(8)– سحرعبدالعزيزسالم،"حركة الإسترداد المسيحي في الأندلس وعلاقتها بالحروب الصليبية"،ص36.

(9) – كانت تلك الحملة الشمالية بدافع صليبي،حيث قام القديس برنارد دى كلارفو (Saint Bernard de Clairvaux) بالدعاية لها في الشمال خاصة في انجليترا والتى أبحرت سفنها في فصل الربيع(ربما في شهر جوان) من عام 1147م وعند وصولها إلى البرتغال،دخلت في حلفاً سياسياً مع كونت البرتغال ألفونسو،الذي كان يتأهب لتعيين نفسه ملكاً على البرتغال بالتنسيق مع البابوية بروما.وبعد الإتصالات بين مبعوثه أسقف دى أُبورتو(Oporto)،وبين الفرق الصليبية الشمالية وبعد إقناعهم عن العدول للذهاب إلى الشرق لمقاتلة المسلمين هناك والحصول على مزايا روحية.فقد أقنعهم على البقاء بالبرتغال ومحاربة المسلمين،والحصول على أراضى والأستقرار فيها.

« …the Bishop of Oporto,(Porto!)pointed out to them that there was no need to make the long voyage to Palestine if they wished to fight for the Cross.There were infidels close at hand,and not only spiritual merit but riche states could be won here and now. »,

S.Runciman,op.cit.,p.258; E.H.Mayer,op.cit.,p.108.

(11) –أنظـر:مقال بعنوان "الحملة الصليبية الثانية كما رأها المعاصريين"مقال من بين عدة مقالات،لصاحبه جيلكونستابل(Giles Constable)،والتي جمعها في كتابه التالي:

C.Giles,Religious Life and Thought (11th –12th centuries, Varioum Reprints,(London 1979),: المقال بعنوان « The Seconde Crusade as seen by Contemporaries », pp.213–279,p.235.

(12) – Ibid.,p.258.

« The Moslems defended their city valiantly,…The crusaders promptly broke the terms and indulged in a glorious massacre of the infidel…After the campaign was over,some of the Crusaders continued their journey to the East,but many more remained as settlers under the Portuguese crown. ».

(13) – كتب عنها أحد المعاصريين،(مجهول الهوية)،ويبدو أنه نورماني وفد مع الصليبيين إلى لشبونة في شتاء 1147+1148م.كما أعتبر بعض الباحثين كتاباته بأنها كانت دقيقة ومعتبرة.وهي من أهم الأعمال التى وصلتنا والتي تتحدث عن الحملات العسكرية خلال القرن 12م.

« ***De expugnatione Lyxbonensi***,**a crusader**,**perhaps an Anglo–Norman preist**, **who wrote probably at Lisbon during the winter of 1147–8.His remarkable and vivid narrative is perhaps the most detailed surviving record of any military expedition in the twelth century**."

C Giles,**op.cit**.,**p.211**.

(14) – أما من المحدثين الباحث والمستشرق هاملتون جيب.أنظر: مقالاً له بعنوان"الحملة الصليبية الأنجليزية بالبرتغال"في كتاب:العلاقات البرتغالية الإنجليزية.

H.A.R.Gibb,"**English Crusader in Portugal''**,**Chapters in**,**Anglo –Portuguese Relations**,(**Ed.Edgar Prestage**,**Watford 1935**),**pp.9–16**.

C.Giles,« **Note on the Route of the Anglo–Flemish Crusaders**", **in**,**SP**, **28**,(**1953**),**pp.524–56**.

(15) **– Louise and Jonathan Riley–Smith**,**The Crusades Idea and Reality**,***Documents of Medieval History 4***,**Edward Arnod**,(**London**,**1981**),**p.161**. نقلاً عن المؤرخ المجهول ***De expugnatione Lyxbonensi***,**ed.C.W.David**(**New York**,**1963**),**p.57**.

« **Among those people who spoke so many different langueges there were the strongest pledges of concord and friendship**.. ».**p.161**.

(15)– لقد سبق لنا أن أشرنا إلى هذا الحصار في،(الهامش رقم:(228)،ص208،والذي قال عنه إبن القلانسي مايلي:((...فتواصلت الأخبار بذلك فشرع متولي أمرها الأمير معين الدين أنر،في التأهب والإستعداد لحربهم))،وكان ذلك بعد إجتماع عكا الذي عقده الصليبيين،بحضور الملك لويس السابع،وكنراد الثالث،وملك بيت المقدس الصليبية،الصبي بادوين الثالث(1143–1163)،بالإضافة إلى عدداً من كبار رجال الدين والأمراء الصليبيين في الشرق أو الذين جاؤوا من الغرب اللاتيني،ربما حتى (الأمير) فريدريك بربا روسة الذي سيلقى مصيره عند عودته إلى الشرق،لكن هذه المرة كأمبراطور للأمبراطورية المقدسة في الغرب،في الحملة الصليبية الثالثة.

(16) – إن نقطة الخلاف بين الباحثين، تكمن في تحديد مدينة هايرون(**Hairon**).حيث يرى فيليب قريقسون (**Philip Grierson**) وكارتليرى (**Cartellieri**) أن المقصود بالمدينة، هي وهران(**Warhrân**) بشمال أفريقيا، أما البعض خالف ذلك. وربما المقصود بها مدينة فارو (**Faro**)على الساحل الجنوبي للبرتغال؟ نعتقد أنه ميناء هونين، (**Honaine**)،وهو مرسى بحري، إلى الشمال الغربي من مدينة تلمسان. كان لهذا الميناء شهرة كبيرة في التجارة خلال الفترة الأسلامية.ونحن نرجح هذا الرأي.

« **Annales Elmarenses** » تقول:« **And since they desired to accomplish thier journey**,**they sailed from Lisbon on the third of February**(**1148**) **and attacked Hairon ;and since they did not dare to make a long siege there on account of lack of food**,**they received from the besieged people hostages for an agreed sum of money ;and very unwisely they** (**the besieged**) **handed over about forty of their best men there ;and when they refused to pay the money** ,**they saw their hostages hanged before the city**. »,

أنظر:

C.Giles,« A Note on the Route of the Anglo–Flemish Crusaders of 1147 », in,SP,28,(1953),
p.525–526.نقلاً عن:
Les Annales de Saint– Pierre de Gand et de Saint–Amand,ed.Philip Grieson (Brussels,1937),pp.111–112.
Alexander Cartellieri,*Der Vorrang des Papsttums zur Zeit der Ersten KreuzzÜge* 1095–1150 (Munich and Berlin,1941),p.372.

(17) C.Giles,*op.cit*.,p.238, نقلاً عن: *Liber Pontificalis*,ed.Louis Duchesne II,(Paris 1892),p.387.

(18)–سحرعبدالعزيزسالم،"حركة الإسترداد المسيحي في الأندلس وعلاقتها بالحروب الصليبية"،ص34؛نقلاً عن:محمد النشار،تأسيس مملكة البرتغال،ص113.

(19)– إن أوضاع الصليبيين في بيت المملكة الصليبية ببت المقدس كانت لا تبشر بالخير،إضطرابات داخلية بين الأمراء كما أصبحت مملكتهم مثل النار في الهشيم،خاصة بعد ظهور الأيوبيين في مصر ودمشق وبداية ظهور بوادر الوحدة بين الأقليمين في عهد صلاح الدين الأيوبي(ت.1193م)

(20)– سحرعبدالعزيزسالم،" حركة الإسترداد المسيحي في الأندلس وعلاقتها بالحروب الصليبية"،ص37؛نقلاً عن:محمد النشار،تأسيس مملكة البرتغال،ص167.

(21)– تقول إحدى الروايات اللاتينية، أن سبب إنشاء هذه الجماعة الدينية الرهبانية،يعود إلى رؤية إرتأها أثناء حروبه مع المسلمين(الموحدين) في موقعة شنترين سنة 539هـ/1144م،،حيث ظهر له ذراعاً يتقلد سيفاً أنقذه من الهزيمة المحققة بمعجزة،مما دفعه إلى القول بأن هذا الذراع كان ذراع قديس.

أنظر:

سحرعبدالعزيزسالم،"حركة الإسترداد المسيحي في الأندلس وعلاقتها بالحروب الصليبية"،ص 37،نقلاً عن:إبن ابي زرع،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،نشرشركة النشرالمغربية، 1355هـ/1926م، ج2،ص181.

(22)– عن قيام الحملة الصليبية الثالثة،

أنظر:

–S.Runciman,A History of the Crusades,Vol.II, *The Kingdom of Jerusalem and the Frankish East,1100–1187*,(London,1985)pp.403–473 ;

– تاريخ أوكسفورد للحروب الصليبية،المرجع السابق،ص62.

سحرعبدالعزيزسالم،"حركة الإسترداد المسيحي في الأندلس وعلاقتها بالحروب الصليبية"،ص38؛نقلاً عن:

إبن أبي زرع،روض القرطاس،ص144؛سحر سالم،تاريخ بطليوس،ج2،ص372.

(23)– نفسه،حركة الإسترداد المسيحي في الأندلس وعلاقتها بالحروب الصليبية،ص38؛نقلاً عن:

Claudio Calindo Guijarro,*Historia De Espana,Barcelona*,1935,P.395.

(24)– ربما هذه الفرقة الصليبية التي وصلت في شهر ماي سنة 1218م/614هـ إلى مدينة عكا والتي كانت مشكلة من عناصر فريزيين ومن مناطق الراين السفلى(ألمان).ودامت رحلتها من الغرب إلى الشرق قرابة سنة كاملة،هي التى شاركت مع قوات ألفونسو الثاني في إحتلال ثغر ابي دانس ومناطق أخرى على ساحل البرتغال.كان يقودها أوليفر أوف كولون،على ما ذكره ماير.

أنظر:

H.E.Mayer,The Crusades,(London,1984),p.210.

((**Not until April and May 1218 when the crusaders from Frisia and the Lower Rhine under the command of Oliver of Cologne arrived at Acre after an adventurous journey lasting a year and including some fighting in Portugal,was it at last possible to think again of taking the war to the enemy**)).

(25)– سحرعبدالعزيزسالم،" حركة الإسترداد المسيحي في الأندلس وعلاقتها بالحروب الصليبية "،ص38؛نقلاً عن:
إبن أبي زرع،روض القرطاس،ص144.

(26)–**Hayde,op.cit.,p.142** .

(27)– رايموند الرابع كونت برشلونة ،كان قد تزوج من الملكة الأرملة بيترونيلا (**Petronilla**)،ووحد بذلك برشلونة وكتالونيا وأراغون،أي كل الأقاليم الشرقية الشمالية لأسبانيا.وبالتالي سمحت له الظروف السياسية والعسكرية ،بغزو كل أقاليم الشريط الساحلي الشمالي الشرقي لأسبانيا وظملها الى الممتلكات الأسبانية.
أنظـر:
S.Runciman,op.cit.,p.250. نقلاً عن :**Bellasteros,*Historia de Espana*,II,pp.247–262.**

(28)– **C.Giles,*op.cit.*,p.227.**:نقلاً عن
Caffaro, « ***Ystoria Captionis Almarie et Turtuose*** »,**in**,***Annali Genovesi*** **I,ed. L.T.Belgrano** (**Fonti per la Storia d'Italia 11 ;Genoa 1890**),**pp.79–89.**

(29)– لقد قامت الجمهوريتين،بغزو ميناء طرطوشة،سنة **1093**م،وعلى قول المؤرخ اللاتينى كفاروا في مؤلفه (التاريخ).
(**Caffaro'sYstoria**) "أن الجنويين قد تعهدوا أمام الله بحمل السلاح ضد سراسنة المريا".
« **the Genoese**(**were**) **instructed and summoned by God through the Apostolic See**(**and**) **made an oath to raise an army against the Saracens of Almeria**". نقـلاً عن: **Caffaro**, ***Ystoria Captiois Almarie et Turtuose***,**in**, ***Annali Genovesi*** **I,ed.L.T.Belgrano** (**Fondi per la Storia d'Italia 11 ;Genoa 1890**),**p79–89.**
أنظـر:

C.Giles,op.cit.,p.228.

(30) – **Loc.cit.**,
((**Economic and political interest certainly played a large part in the origins of this expedition.Both Almeria and Tortosa were centres of Mooristh pirates who preyed on Italian and other Christian shipping,and both were wealthy cities :facts which weighed heavily with the hard–headed Genoese,…**)),
ينقل لنا المؤرخ جيل تلك الأحداث عن مؤرخ مجهول لألفونسو السابع، الذى خصّ (قراصنة) المريا بما يلي:
((أنهم [مسلمو الماريا] يتجولون في كل الإتجاهات في البحر،أنهم قاموا بغزو أراضى بارونزي،وأراضي عسقلان وأقاليم القسطنطينية وصقلية وبرشلونة وجنوة وبيزا وفرنسا والبرتغال وغليسيا …وألقوا القبض على المسيحيين الملاحين …)).
« **qui circuentes diversa maria,nunc subito egressi terra Barensi,et terra Ascalonis,et Regionis Constantinopolitarum,et Siciliae,et Barcinonensis,et nunc Genuae,nunc**

Pisae,et Francorum,aut Portugaliae,et Galleciae,…captivos Christianos navibus adversantes fugiebant…)),نقلاً عن:

The anonymuos chronicler of Alfonso VII, *'Chronica Adefonso Imperatoris*,ed.H.Florez,Espana Sagrada 21.398.

(31) – الكونت وليام الفرنسي،كان صديقاً للقديس برنارد دى كلارفو وبعد عودته من حملته الصليبية من إسبانيا ،قبل شهر يوليو 1149م تحول الى راهباً وألتحق بدير قرانسالف(Grandeselve) بالقرب من مدينة تولوز،بجنوب غرب فرنسا.

أنظر:

Archibald R.Lewis,''Sreigeurial Administration in Twelth Century Montpellier'',in,SP 22,(1947),p.568.

(32)– البروفانسيون،هم سكان الأقليمين الجنوبين لفرنسا.إقليم سبتيمانيا (Septimania)،المحاذي للحدود الإسبانية الفرنسية عند جبال البرانس.ومن أشهر مدنه،ناربون،كاركاسون، بيزار (Narbonne,Carcassonne,Béziers).كما =عُرف هذا الإقليم أيضاً بلانقدوك (Languedoc–Gothia). أو (Langue d'oc)،لأن لغة أهله وسكانه كانت أقرب إلى اللغة القشتالية(Catalan)،وعُرف بإقليم بروفنسال(Provençal)،أما لغة المناطق الشمالية منه،عُرفت بإسم (Langue d'oil)،وكانت واقعة أكثر تحت تأثير اللهجات الجرمانية.أما إقليم بورجنديا (Burgundia)،يقع إلى الشرق من إقليم لانقدوك،ومن أشهرمدنه:ليون،مارسيليا،مونبيلي(Lyon,Marseille,Montpellier).

(33) – C.Giles,op.cit.,p.233.

(34) – Christophe Picard, L'Océan Atlantique Musulman au Moyen Âge, UNISCO , (Paris, 1990),p.163 ; نقلاً عن Guichard,pp.64–70.

,يُعلق الكاتب قيشار،في الهامش رقم:(155)،ص 163،على أن أهم الأحداث–الهجومات المسيحية– التي عرفتها جزر البليار،جاءت في مؤلف:كافارو(Caffaro)،

De Captione Almeria et Torthose de Caffaro,*Liber Majolichmus*,(éd.A.Ubieto Arteta,Valence,1973).

(35) – تقع مدينة طرطوشة (Tortosa)،في شمال شرقي الأندلس جنوبي طركونة (Tarragona)،وشمال بلنسية(Valencia)،وجنوب شرقي سرقسطة (Zaragoza)،وهي على ساحل البحر المتوسط.كانت طرطوشة في عصر الدولة الأموية في الأندلس إحدى مدن الثغر الأعلى(ويطلق عليه أيضاً الثغر الأقصى أو الثغر الشرقي)وقاعدة مدينة سرقسطة،كما عرفت طرطوشة في كثير من المصادر الإسلامية بأنها قاصية الثغر الأعلى،وقاصية أرض الأندلس ومنقطع دعوة الإسلام بالأندلس.

أنظر:

كمال السيد أبو مصطفى،" تاريخ طرطوشة الإسلامية وحضارتها في عصر دويلات الطوائف(في القرن الخامس/الحادي عشر الميلادي) "، ص ص 161–199،in،السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات،القسم الأول:التاريخ والفلسفة؛لجنة التحرير،عبدالله بن علي الزيدان وآخرين،مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة،الرياض 1417هـ/1996م،ص ص 161–199،لاسيما ص 164،والهامشين رقم:(1)،(2)،ص165،الهامشين رقم:(9)،(10).

(36) – C.Gilles,*op.cit*.,p.259.

« go with the noble Count Ramon of Barcelona for the defence of the Christian faith and of the entire holy Church »,نقلاً عن:

P.U in, *Spanien I*,n°,54,pp.322–324.

(37)–أحمدمختار العابدي،تاريخ البحرية الإسلامية في الأندلس،ص261–266.

(1)– لقد قام الموحدين بمطاردة بني غانية في البحر،حيث جعلوا على أسطولهم القائد أبي عباس الصقلي،الذي ظل يطاردهم على سواحل إفريقية وفي جزر البليار،قبل سقوطها في يد الموحدين سنة 1203م.

أنظر:

–إبن خلدون،العبر، ج6،ص293–295.

(38) – يمكن لنا الرجوع إلى المؤرخ وليام الصوري،وإن كان البعض يرى في موقفه أنه لم يمثل وجهة نظر المؤرخيين الغربيين(ولد بالمشرق الإسلامي وكتب خلال القرن 13م)،وبالتالي لم يكن معاصراً لتلك النكسات؛ والمؤرخيين الإغرقيين: كيناموس ونيسيتاس،واللذان أيضاً يمثلان وجهة نظر شرقية بيزنطية وبالتالي شهادتهما مُستبعدة وغير (واقعية) من وجهة نظربعض المدارس الغربية.ولعل تلك الهزائم في إعتقادهم كان مصدرها الأباطرة والباباوات أكثر من غيرهم،أما إرادة الرّب،فكانت غائبة.أما أودو دى ديل(Odo de Deuil)،فرأى في أسباب فشل الحملة الصليبية الثانية بُرمتها،هم الأتراك والإغريق اللذين حملاً لهما مسؤولية الفشل.أما أوتو دى فريسينك (Otto of Freising)،وبرنار دى كلارفو (Bernard de Clairvaux)،فأعتبرها عقاباً من الرّب على ذنوب الأشخاص. أنظر:

–S.Runciman,op.cit.,p.258–259 ;H.E.Mayer,op.cit.,p.108–109.

Louise and Jonathan Riley–Smith,op.cit.,p.61–62,

أنظر رسالة كتبها برنار دى كلارفو إلى البابا إيجينيوس الثالث،(Eugenius III,1145–1148) في:

– Bernard of Clairaux, '*De consideratione*' *Sancti Bernardi Opera*,ed.J.Leclercq *et al.*(Rome,1963)III,PP.410–413.

(39) – H.E.Mayer,op.cit.,p.108.

« The one success of the whole crusadre took place in the wings…the disappointment was,of course,correspondingly deep ».